انتهى

المجلد الاول

من

كتاب

المواقف

في التصوف والوعظ والإرشاد

ويليه المجلد الثاني

الناظر ؛ زال معنى « لا » : وكذلك العابد والمعبود ، والربُّ والمربوب ، اذا حصل الفناء ، وهو الاتحاد عند القوم ـ رضوان الله عليهم ـ زالا معاً، اذ بزوال العابد يزول المعبود ، وبزوال المربوب يزول الربُّ ، كما هو الشأن في كل متضايفين يزول أحدهما بزوال الآخر ، فيزولان معاً ، وعلى هذا قس واعتبر.

الموقف

ـ ٢١٦ ـ

ورد في صحيح البخاري وغيره عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ الآيتان من آخر سورة البقرة ، مَن قرأهما في ليلة كفتاه .

يعني عن قيام تلك الليلة ، والتجهُّد فيها . وانما كانت لهما هذه الفضيلة العظمى والمزية الكبرى لأنه ورد في صحيح البخاري وغيره أيضاً :

« **ينزل ربنا كلَّ ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ، فيقول ، هل مِن داع فاستجيب له ؟ هل مِن تائب فاقبله ؟ هل من مستغفر فاغفر له ؟** » .

الى طلوع الفجر . وهاتان الآيتان ؛ جامعتان لهذه الأشياء الثلاثة : التوبة، في قوله :

« سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا[1] » .

والاستغفار في قوله :

« غُفْرَانَكَ رَبَّنَا[1] » .

والدعاء في قوله :

« رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا[2] » .

الى آخر السورة .

---

(١) ٢٨٥/٢ البقرة . (٢) ٢٨٦/٢ البقرة .

الموقف

ـ ٢١٧ ـ

قال تعالى :

« إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ، فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ، إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ[1] » .

صدر هذه السورة بشارة ، وآخرها بشارة . وأكد الحق ـ تعالى ـ فيها تبشيره واخباره . وما بينهما أمر بشكر هاتين البشارتين ، والنعمتين الجسيمتين، وبيّن كيفية شكرهما . فقال له : « فصلّ لربّك » أي كن مصلياً لربك لاحقاً به لحوقاً معنوياً وقريباً منه . كذلك وليس اللحاق به تعالى والقرب منه الاّ بالتحقيق بأسمائه وصفاته ، بعد التخلّق والتعلق بها ، والاعراض عن كل شيء . **فان المصلي لاينظر الاّ الى السابق** ، ولا همّة له الاّ في اللحاق به .

« وَانْحَرْ » شاحح على ذلك وتقدم على غيرك بعزم قويّ وهمة عالية ، ونافس كلّ منافس .

وصدرها بشارة باعطاء الخير الكثير ، ومنه الكوثر ، نهر الجنة المعروف . وعجزها بشارة بدفع كلّ شرّ جليل وحقير ، والتأمين من كلّ مخوف ،يقول تعالى لحبيبه محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ان المسمى كافراً بك ، ومنافقاً معك، وشانئاً لك ، كله هو . والهو عبارة عن الحقيقة الغيبية السارية في كل موجود ، من حيث أن الموجودات كلّها مظاهر أسماء مرتبة تلك الحقيقة. وهي الألوهية. فما كان من مظاهر تلك الأسماء مظهر جمال وخير ؛ فهو محبٌ لك ـ صلى الله عليه وسلم ـ وما كان منها مظهر جلال وشقاوة فهو شانىء لك من حيث المظهرية ، لعدم المجانسة لك والمناسبة . ولكنه أبتر بالنسبة اليك ، بمعنى أنه لا أثر له فيك . ولا له قدرة على أيصال الضرّ اليك ، وما ورد من أنه ـ صلى

---

(١) ١٠٨/١ـ٣ الكوثر .

الله عليه وسلم ـ سُحِرَ • وكان يخيَّل اليه أنه فعل الشيء وما فعله ، وكان الشيطان يعترضه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بشعلة نار ، وكان يشدُّ عليه في الصلاة ليقطع صلاته عليه •••• ونحو ذلك ، ممَّا في الأخبار الصحيحة ؛ فانما هي عوارض زائلة ، غير قادحة في البشارة بالتأمين ، وحكمة عروض هذه العوارض وأمثالها بيان أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ من حيث صورته العنصرية البشرية من جملة البشر • ولكنه تعالى أكرمه ، ومن كل مكروه عصمه ، كما أنه من كلِّ مخلوق أمَّنه • فلفظة « هو » على حسب هذه الاشارة خبر ، لا ضمير فصل ، والأبتر نعت له من هذه الجهة فقط • وان الثانية ليست لتأكيد الأخبار بأن شانئك هو ، فان هذا معلوم عنده ـ صلى الله عليه وسلم ـ لايعتريه تردُّد فيه ولا انكار له • وانما هي لتأكيد المبشَّر به ، وهو أن شانيه لا أثر له فيه ، ولا يصل اليه منه شرٌّ كما يصل الى غيره •

الوقف

ـ ٢١٨ ـ

قال تعالى :

« إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ[1] ».

أخبر ـ تعالى ـ ، أن من وصل الى المرتبة الوسطى من مراتب التقوى، وحصل عليها بأن صار يتقي بالحق ـ تعالى ـ في كل فعل وترك ، وورد وصدر، بمعنى أنه تعالى هو وقاية هذا المتقي ، فلم ينسب لنفسه شيئاً ممَّا يصدر عنه ، من طاعة ومعصية ، وحسن وقبيح ، لا على طريق الجبرية ، ولا على طريق الكسبيَّة ، لأنه شاهد الفاعل الحقيقي ، والمصدر الكلّي ، فشاهد نفسه من حيث مخلوقيَّته كسائر الجمادات ، فكما لا ينسب العقلاء الى الجماد فعلا أو تركاً الا على جهة المجاز ، فكذلك هو في شهوده هذا • وأمَّا النسبة التي أثبتها الشارع في قوله : افعل أو اترك ، أو فعلت أو تركت ، فهو لاينفيها ،بل

---

(١) ١٢/٩٠ يوسف

يسلّمها مع الجهل بحكمتها • ومع هذا الشهود ، وهذه المعرفة الحاصلين لهذا المتقي فانه يصبر على أداء المأمورات الشرعيـة ، وترك المنهيـات الوضعية ، فلا يتعدى الحدود الشرعية ، بل لايقربها • لأنه مِن حيث هذا الشهود ، صار من الصنف المخاطبين بقوله تعالى :

« فَلَا تَقْرَبُوهَا[1] » .

يعني الحدود الشرعية ، كما أن قوله تعالى :

« فَلَا تَعْتَدُوهَا[2] » .

يعني الحدود الشرعية ، خطاب لصنف آخر • فالصنف الأول يعاقبون على مقاربة الحدود ، والصنف الثاني لا يعاقبون على المقاربة ، وانما يعاقبون على اعتداء الحدود ومجاوزتها ، لأنَّ كل مِن علت رتبته ، وأزلفت منزلته يعاقب على ما لا يعاقب عليه مَن هو أسفل مرتبة وأبعد منزلة ، كما هو في الشاهد في خاصة الملك ورعاياه • بل صاحب هذه المرتبة ، ان كان من الصابرين ؛ فهو أشدُّ حذراً وخوفاً وتوقياً وقياماً بالأمر والنهي الشرعيين ، مِن الذي ليس له هذا الشهود مِن العباد والزهاد عناية من الحق ـ تعالى ـ به • وهـذا المقـام والشهود وسط • وفوقه مقامات كما قيل :

وهذا مقام في الوصـول وفوقه مقامات أقوام عـلى قدرهم قدري

وبعد الوصول الى هذا المقام تتميَّز السعداء مِن الأشقياء ، فمن اتقي وصبر ، كما قال : انه مِن يتَّقي ويصبر على أداء الأوامر واجتناب النواهي ؛ فقد صار مِن المحسنين :

« إِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ[3] » .

وما على المحسنين من سبيل ، فضلا منه تعالى ومنَّة ، وأمَّا مَن يتقَّي

---

(١) ١٨٧/٢ البقرة (٢) ٢٢٩/٢ البقرة (٣) ١٢١/٩ التوبة ، ١١٦/١١ هود

ولا يصبر على أداء الأوامر واجتناب النواهي ، ويتعدى الحدود الشرعية فهو من الأشقياء المحرومين ، والزنادقة الملحدين المعنيين بقوله :

« إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لاَ يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا[1] » .

وهو ممَّن أضله الله على علم ، من حيث علمهم بمرتبة الأتقياء بالله ـ تعالى ـ وعلى جهل ، مِن حيث جهلهم بحكمة الحكيم العليم تعالى فيما شرَّعه مِن الأمر والنهي ، وفيما رتَّبه من الحدود والزواجر ، عرفوا شيئاً وفاتهم أشياء ، فتخيَّلوا وظنوا أن الاوضاع الشرعية : خاصة بمن لم يصل الى مقامهم ، فقيل لهم :

« وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ[2] »

« نعوذ بالله مِن الحَوْر بعد الكَوْر[3] » .

وأما مَن جاوز هذه المرتبة وعلاها فقد جاوز الصراط وتخلص فلا رجوع له ، ولذا قال العارف ، « ما رجع من رجع الا من الطريق ، ولو وصلوا ما رجعوا » .

الموقف

ـ ٢١٩ ـ

قال تعالى :

« وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ[4] » .

اعلم أن الرحمة ذاتية وصفاتية ، وكلٌّ منها عامَّة وخاصَّة ، فالذاتيتان ؛ هما المذكورتان في البسملة في قوله :

« بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » .

والصفاتيتان هما المذكورتان في الفاتحة في قوله :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ[5] » .

فاسم الرحمة في قوله : « ورحمتي » أعمُّ مِن الرحمة الرحمانية ،

---

(١) ٤١/٤٠ فصلت . (٢) ٤١/٢٣ فصلت . (٣) هذا حديث ومعناه أي من النقصان بعد الزيادة وانظر اللسان «حور» و «كور» . (٤) ٧/١٥٥ الأعراف . (٥) ١/١ـ٣ الفاتحة

والرحمة الرحيمية ، فاسم الرحمة يتناولهما لفظاً ، أعني الرحمة الذاتية العامة ، والرحمة الذاتية الخاصة ، ولذا أضيف لفظة الرحمة الى الضمير ،الذي هو كناية عن الذات ، الذي تضاف الأشياء اليه ، ولا يضاف هو الى شيء ،وهو غيب الغيب وحقيقة الحقائق ، وتسمّى الرحمة الذاتية « بالامتنانية الحبيّة » لأنها عبارة عن التجلّي الذاتي الأقدس ، الذي كانت به الاستعدادات الكليّة للأشياء، لقبول التجلّي ، فهي الوجود من حيث انبساطه على الحقائق العلمية، والأعيان الشهودية ، وهذه الرحمة واحدة بالذات ، متعدّدة بتعدد النسب والاعتبارات والتعدّد عين المتعدّد ، وعموم هذه الرحمة شمل كلّ شيء ، حتى الغضب والآلام والعذاب ونحو ذلك ، ممّا يتخيّل أنه مناف لها ، لأن الكل تجلّ من تجليّات هذه الرحمة العامة ، التي وسعت كل شيء ، فانه ـ تعالى ـ أطلق ، ولفظ الشيء يعمّ كلّ ما يصحّ أن يعلم ويخبر عنه لغة ، فبهذه الرحمة ايجاد كل موجود . ولا يقال في هذه الرحمة : انها تسع الحق ـ تعالى ـ أو لا تسع ، لأننا قدمنا أنها عين الوجود ، والوجود عين الذات ، والشيء لايسع نفسه ولا يضيق عنها ، ومن هذا قوله :

« رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً[1] » .

فرحمته هنا عين ذاته كعلمه ، ولسعة هذه الرحمة وشمولها وسعت أسماءه تعالى ، بظهور آثارها ، بظهور الكائنات ، وأمّا الرحمة الذاتية الخاصة فهي الرحمة الرحيمية المقيدة بالمتقين وبالمحسنين ، كما في قوله تعالى :

« إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ[2] » .

وهي التي أوجبها نفسه على نفسه في قوله :

« كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ[3] » .

وبما قررناه تعلم أن الضمير المتصل في قوله « فَسَأَكْتُبُهَا » عائد على

---

(١) ٤٠/٧ غافر . (٢) ٥٥/٧ الأعراف . (٣) ١٢/٦ الأنعام .

الرحمة الخاصة الذاتية ، المفهومة من لفظة الرحمة ، المضافة الى الياء ، التي هي كناية عن الذات ، على الرحمة الذاتية العامة ، التي وسعت كل شيء ،فهذا المساق يشبه التوزيع • ولولا أن الأمر على ما ذكرناه لتناقض صدر الآية مع عجزها ، اذ السعة تقتضي الاطلاق • وقوله : « فَسَأَكْتُبُهَا » الخ ، نص في التقييد ، والتناقض محال• « لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ » أي يطلبون التقيَّة والستر به تعالى بأن يصير الحق ـ تعالى ـ تقيَّتهم ووقايتهم من كلِّ شيء • وذلك بالدخول في جنَّة الذات ، المشار اليه بقوله :

« يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ » .

الى قوله :

« وَادْخُلِي جَنَّتِي[1] » .

وأمَّا الرحمة الرحمانية الصفاتية العامة فهي الرحمة التي أخرجها الحق ـ تعالى ـ الى أهل الدنيا ، فبها يتراحمون ويتواصلون حتى تضع الدابة حافرها على ولدها ولا تضره ، كما ورد في الخبر :

« **ان لله مائة رحمة أخرج منها الى الدنيا رحمة واحدة** » الحديث •

والماية هي أسماؤه ـ تعالى ـ ، وأمَّا الرحمة الرحيمية ، الخاصة الصفاتية؛ فهي التي يرحم بها تعالى مَن يشاء من عباده ، وهي التي تتوقف على المشيئة الربانية ، كما قال :

« وَاللهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ[2] » .

ونحو ذلك • وهي التي يتخلَّق بها المتخلِّقون ، ويتحقق بها المحققون، من رسول ونبيٍّ ووليٍّ كامل ، وهي التي وصف الحق ـ تعالى ـ بها محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ في قوله :

« بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ[3] » .

---

(١) ٨٩/٢٧ ـ ٣٠ الفجر • (٢) ٢/١٠٥ البقرة، ٣/٧٤ آل عمران • (٣) ٩/١٢٩التوبة•

الموقف

- ٢٢٠ -

قال تعالى :

« وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ[1] » الآية .

تسلية من الحق - تعالى - لعباده الصابرين على ما أصابهم ، بأنه هو عوض وخلف لهم مما فقدوه ، ممّا يلائم طباعهم ، اذ الصبر حبس النفس على ما تكره . ولا تكره النفوس الاّ ما لايلائمها حاضراً ، ولو علمت أنه خيرٌ لها في الآجل . فلابدّ للنفوس من التألم النفساني الطبيعي ، ولا تقدر على دفعه الاّ اذا طرقها حال غالب قاهر يغنيها عمّا به تتألم ، كما يغنيها عما به تتلذذ ، ولكون التألم النفساني الطبيعي لايقدر الانسان على دفعه ، بكت الأكابر وتأوّهت ، وأنّت واستغاثت ، وسألت رفع الآلام ، بخلاف التألم الروحاني فان الانسان يقدر على دفعه ، ولهذا ترى الأكابر مبتهجة في بواطنها ، مسرورة راضية واثقة بحسن اختيار الله تعالى لها ، مطمئنة عند نزول الآلام والموجعات بها ، وليس هناك شيء غير ملائم بالذات ، ولا شرّ بالذات ، وانما ذلك بالنسبة الى القوابل والاستعدادات الجسمانية ، وأما الحقائق الغيبيّة ؛ فكل شيء نزل بها ، فهو ملائم لها ، بل لاينزل بها غير ما هي طالبة له بلسان حالها ، فأخبر - تعالى - الصابرين على فقد الملائم كالصحة والغناء ، والعزّ والأمن ، والمال والولد ، انه هو - تعالى - خير لهم ممّا فقدوه ، اذا عرفوا أنه هو تعالى وجودهم الملازم وبدهم اللازم ، وما فقدوه من الأشياء الملائمة انما هو أمور وهمية خيالية ، وقال تعالى : « لهو » والهو ؛ هو الحقيقة الذي لايدري ولا يعرف ، ولا يسمى ولا يوصف ، وهو غيب كل شهادة ، وحقيقة كل حق ، لايزول ولا يحول ، ولا يذهب ولا يتغير ، فليس المراد بالهو ضمير الغايب المقابل للمتكلّم والمخاطب ، وما قال تعالى ، « لأنّا » لأن « الأنا »

---

(١) ١٦/١٢٦ النحل .

متعيّن بالحضور ، وكل متعين متقيد من حيث ذلك التعين ، و « خَيْر » أصله أخير ، فهو يدل على المشاركة والمفاضلة ، ولا مشاركة ولا مفاضلة ، ولكنه تعالى يخاطب عباده بالمعروف ، ويماشيهم على النهج المألوف ، والاّ فأي مشاركة بين الوجود والعدم ، وأي مفاضلة بين الحقيقة والوهم ، فمن وجد الله لم يفقد شيئاً ، ومَن فقد الله لم يجد شيئاً ، وفي المناجاة العطائية : « ماذا وجد مَن فَقَدَك ؟ وما الذي فَقَدَ مَن وَجَدَك » ؟!

ـ ٢٢١ ـ

الموقف

قال تعالى :

« أَلاَ إِلَى اللهِ تَصِيرُ الأُمُورُ[١] » .

وقال :

« وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّه[٢] » .

وقال :

« وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ[٣] » .

وقال :

« إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ[٤] » .

ونحو هذا .

اعلم أن مصير الأمور كلها الى الله ، ورجوعها اليه ، ورجوع المخلوقات اليه تعالى انما يكون بعد القيامة . والقيامة انما تكون بعد فناء المخلوقات ، ومَن مَات فقد قامت قيامته على لسان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والموت موتان : موت اضطراري عام ، وموت اختياري خاص ، وهو المأمور به :

---

(١) ٥٣/٤٢ الشورى (٢) ١٢٣/١١ هود (٣) ٥٦/١٠ يونس ، ٣٤/١١ هود
(٤) ٦٠/٦ الانعام .

« **موتوا قبل أن تموتوا** » .

على لسان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فمن مات اختياراً ؛ فقد قامت قيامته وصارت الامور عنده الى الله ، فرجعت أمراً واحداً ورجع الى الله ؛ فرأى الله بالله .

« **أنكم لن تروا ربّكم حتى تموتوا** » .

على لسان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خرّجه الطبراني ، وذلك لفناء المخلوقات ، في شهود هذا الميت المبعوث . فما بقي عنده الاّ أمر واحد ، أي وجود واحد ، وما من شيء يكون بعد الموت للعموم الاّ وفي هذه الدار نموذج منه للخصوص ، قلّ أو جلّ ، وصيرورة الأمور كلها الى الله ـ تعالى ـ ، اذا اعتبرت من جهة صورها انما يكون ذلك حكماً لا عيناً ، فيرى من مات وقامت قيامته الكثير واحداً لوحدته الحقيقية ، والواحد كثيراً لكثرته النسبية الاعتبارية ، والأعيان التي هي الجواهر لاتنعدم أبداً ، والخلق الجديد دائماً دنيا وآخرة ، انما هو في الصور ، التي هي أعراض ، وكلّ شيء سوى الوجود الذي هو أمر الله ؛ فهو عرض .

الموقف

ـ ٢٢٢ ـ

قال تعالى :

« وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ[1] » .

الذين اهتدوا بالأيمان وعمل الصالحات زادهم هدى بكشف ما آمنوا به ، واظهار أسرار ما عملوا من الطاعات ، كما قال :

« وَاتَّقُوا اللهَ ، وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ » .

وفي الخبر :

« **من عمل بما علم ورثه الله علم ما لا يعلم** » .

---

(١) ٤٧/١٠٧ محمد .

فالذين يعلّمهم الله اياه ، اذا عملوا بما علموا هو كشف سرٍّ ما عملوا به ، فليس على المكلّف الاّ الايمان ، والعمل بالوارد من التكاليف فعلا وتركاً ، والوقوف عند الحدود ، مع اعتقاد حقيّة ذلك كلّه جزماً ، وعدم التعرّض للكيفيات والتأويلات ، والحق ـ تعالى ـ يكشف للمؤمن العامل عن بواطن الأمور وحقائق الأشياء ، فيرفعه من مرتبة الايمان الذي هو تصديق المخبر فيما أخبر به ، وهو علم اليقين ، الى عين اليقين ، وحق اليقين ، فيصير ما كان ايماناً مشاهدة وعياناً ، وهذه هي زيادة الهدى ، وهي المعبّر عنها بزيادة الايمان ، في غير ما آية وحديث ، من باب تسمية المسبب باسم السبب ، حيث كان الايمان الذي هو قول وعمل واعتقاد سبباً في زيادة اليقين والحصول على عينه وحقّه ، كما أن الكفر وعدم الأعمال الصالحة سبب في زيادة الضلال والحصول على الطبع والرين ، كما قال :

« وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلى رِجْسِهِمْ[1] » .

وقال :

« فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً[2] » .

وقال :

« بَلْ رانَ عَلى قُلُوبِهِمْ[3] » .

ونحو ذلك .

واليقين مرتبة لايقبل صاحبها الزيادة في مشهوده، وان قبل زيادة الظهور والكشف ، والفرق بين هذه الثلاثة ، هو أنّ **علم اليقين** يحتاج في اثباته الى دليل ، ويقبل التشكيك ، **وعين اليقين** يحتاج الى دليل ولا يقبل التشكيك ، **وحق اليقين** لايحتاج الى دليل ولا يقبل التشكيك ، وجميع علوم الأذواق ـ وهي العلوم الحاصلةبالتجليات لمن شاء الله تعالى من عباده ـ من القسم الثالث.

---

(١) ٩/١٢٦ التوبة . (٢) ٢/١٠ البقرة . (٣) ٨٣/١٤ المطففين .

فزيادة الهدى اذاً ، ليست زيادة أشياء يؤمن بها ، وانما هي زيادة فيما يؤمن به ، أي زيادة كشف معلوم الأولياء ليست بزيادة على ما جاء به محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ اذ لا يأتون بأمر ولا نهي جديد ولا حظر ولا وجوب ، وانما يكشف الحق لهم عن أسرار ما جاء به محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحقائقه وبواطنه وحكمه ، فان لكلّ ظاهر باطناً ، فظاهره ملكه ، وباطنه ملكوته ، قال تعالى :

« وَكَذٰلِكَ نُرِيٓ إِبْراهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ[1] ».

فلا يحصل الايقان الزائد على الايمان في الاشياء الاّ بكشف بواطن الاشياء والاطلاع على ملكوتها .

الموقف

ـ ٢٢٣ ـ

قال تعالى :

« قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ، لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ[2] ... » الخ السورة .

« أل » في « الكافرون » للجنس المخصوص . وهم الذين حقّت عليهم كلمة ربّك، أنهم لا يؤمنون، أي لا يرجعون عن كفرهم بحسب مرتبة كفرهم وهم المعنيون بقوله :

« إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ[3] » .

وقوله :

« إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ[4] » الخ ، الآية .

---

(١) ٧٥/٦ الانعام (٢) ١/٦٠٩ـ٦ الكافرين . (٣) ٦٨/٥ المائدة و ١٠٧/١٦ النحل .
(٤) ٦/٢ البقرة .

ونحو هذا .

والكفر : الستر لغة. فكل مَن ستر شيئاً وجحده فهو كافر ساتر بالنسبة لما ستره وجحده ، وهو أنواع كالشرك ، وقد يطلق كل منهما على الآخر ، وفي صحيح البخاري :

« **كفر دون كفر ، وظلم دون ظلم** » .

وكما أن الكفر أنواع ؛ فالداعون الى الخروج مِن هذه الأنواع أنواع ، منهم مَن يدعون الى الخروج من الكفر الأعظم ، ومنهم من يدعو الى الخروج من الكفر الأصغر الى ما بينهما .

« قُلْ يَا أَيُّهَا ٱلْكَافِرُونَ » .

الجاحدون وحدانية الاله ـ تعالى ـ ، الداعون معه الها آخر ، امَّا استقلالا كالقائلين بالاثنين ، وامَّا تقريباً كالقائلين :

« مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى[1] » .

« لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ » .

من الشركاء

« وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ » .

وهو الاله الواحد الأحد لما خفت عليكم كلمة العذاب ، وما يبدل القول لديه تعالى :

« قُلْ يَا أَيُّهَا ٱلْكَافِرُونَ » .

الجاحدون تنزيه الحق ـ تعالى ـ القائلون بتشبيهه بخلقه مطلقاً، كالمجسِّمة والحلولية والاتحادية المنكرون والمؤولون بقوله :

---

(١) ٣/٣٩ الزمر .

« لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ[1] » .

« لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُون » وهو الآلهة المشبَّهة بمخلوقاته مطلقاً ، فانه اله مخلوق اخترعه عابده في تخيّله :

« وَلاَ أَنْتُمْ عابِدُونَ مَا أَعْبُد » .

وهو الاله المنزّه في تشبيهه .

« قُلْ يَا أَيُّها ٱلْكَافِرُونَ » .

الجاحدون تشبيه الحق تعالى ، القائلون بتنزيهه مطلقاً في جميع المراتب ، المنكرون والمؤوّلون لما ورد في الكتب وسنن الرسل ، ومن تجلّيه بصور مخلوقاته ، من غير حلول ولا اتحاد ، ونعته بنعوت المحدثات ، كالنزول والهرولة ، والقدم والضحك ، والوجه والعين ، والجنب والجوع والعطش ، ونحو ذلك .

« لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُون » .

وهو الاله المنزّه مطلقاً في جميع المراتب ، المحكوم عليه بأنه على كذا ، ولابدّ ولا يكون على كذا ، المحجور عليه بالعقول والأفكار .

« وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ » .

وهو الاله المنزّه المشبّه ، أعني منزّه حالة تشبيهه .

« قُلْ يَا أَيُّها ٱلْكَافِرُونَ » .

الجاحدون انفراد الحق ـ تعالى ـ بايجاد كلّ موجود ، القائلون بتأثير الطبائع والأفلاك ، أو الأسباب العادية بطبعها ، أو بقوّة أودعها الله ـ تعالى ـ فيها ، أو أن العبد يخلق أفعاله الاختيارية كما يقوله المعتزلي .

---

(١) ١١/٤٢ الشورى .

«لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ» .

وهو الاله الذي له شريك في فعل من أفعاله ، أو حكم من أحكامه ، فقوله :

«لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ» .

ما أعبد .

«وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ» .

المقصود به أهل الكفر الأكبر ، وقوله :

«وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ» .

المقصود به ما عدا أهل الكفر الأكبر ، من سائر الطوائف والملل والنحل ، فما في كلام الحق ـ تعالى ـ تكرار .

«لَكُمْ دِينُكُمْ» .

الدين الجزاء ، أي لكل طائفة منكم جزاء بحسب مرتبة كفرها. فكما أنَّ الكفر أنواع فالجزاء أنواع ، فلكلِّ كفر جزاء .

«وَلِيَ دِينُ» .

أي لي جزاء عام وهو التلذُّذ والتنعُّم بنعيم كلِّ معتقد حيث كان الهي ومعبودي مطلقاً، لا حكم عليه ولا تحجير، والعابد للاله المطلق له النعيم المطلق.

★ ★ ★

الموقف

ـ ٢٢٤ ـ

قال تعالى :

« وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ [١] » .

وقال في السورة نفسها :

« وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ [٣] » .

اعلم أن العباد على قسمين : أشقياء وسعداء ، والسعداء على قسمين : أبرار أصحاب اليمين ، ومقرَّبون سابقون . فالأشقياء لا خوف عندهم ، والسعداء لهم خوف ، وخوفهم نوعان : خوف الاجلال والتعظيم والمهابة ، وهو للمقرَّبين السابقين ، فان الخوف منه تعالى على قدر المعرفة به ، فمن كانت معرفته أتمَّ ؛ كان خوفه اكمل ، ولذا قال السيد الكامل ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« **اني لأعرفكم بالله واشدكم له خشية(٢)** » .

وخوف النار والأغلال والعذاب والنكال ، هو للأبرار أصحاب اليمين ، وليس الخوف من لازمة الاجلال والاعظام،فان الانسان يخاف الحيَّةوالعقرب، من غير تعظيم ولا اجلال ، ولما كان خوف الأبرار والمقربين مختلفاً في النوعية ؛ كان جزاؤهما مختلفاً في العين والماهية . فجزاء المقرَّبين ؛ دخول جنتي الذات والصفات . وهو جزاء معنوي ، ودخول معنوي ، حيث كانخوفهم معنوياً جزاء وفاقاً ، اذ الجزاء من جنس العمل . وهما الجنَّتان المتقدِّمتان في الذكر في السورة ، فهما مقدمتان رتبة وذكراً . وجميع ما ذكر في هاتين الجنتين هو من الأمور المعنوية فقوله :

---

(١) ٤٦/٥٥ الرحمن . (٢) ٦٢/٥٥ الرحمن . (٣) وفي نسخة : أنا أعرفكم بالله .

« ذَوَاتَا أَفْنَانٍ[1] » .

اشارة الى كثرة التجليات الذاتية والصفاتية وتشاجرها وتباينها ، بحيث لايشبه تجلٍّ تجلياً أبدَ الآبدين ، وقوله :

« فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ[2] » .

اشارة الى جريان العلوم اللدنية والالهامية ، وتتابعها على الدوام ، لمن دخل هاتين الجنتين • فالعلم اللدني هو الوارد من الوجه الخاص الذي لكل انسان • والعلم الالهامي هو الوارد بواسطة الملك غير المحسوس ، فبين العلمين فرقا الواسطة وعدمها • وقوله :

« فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ[3] » .

اشارة الى أن في هاتين الجنتَّين ، من كل ما تستلذه الأرواح ، وتتنعم به القلوب نوعين ، كالمشاهدة والمكالمة ، والحضور والغيبة ، والسكر والصحو ، والبقاء والفناء ، والجمع والفرق ••• ونحوها ، وقس على هذا ما لم أذكر ، وهاتان الجنتان لا نهاية لهما ولاحدَّ • ونعيمهما لمن دخلهما دنياً وبرزخاً ، والآخرة واللذة فيهما أتمُّ • والتنعمُ أكمل ، بل لا نسبة بينهما ، وبين الجنتين المذكورتين بعد ، وجزاء الأبرار دخول جنتين محسوستين ، لأن ما خافوه محسوس • وهما المذكورتان في قوله :

« وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ » .

فهما دون الأولين في القدر والسعة واللذة • بل هاتان كلا شيء ،بالنسبة للأولين ، فانهما لا يدخلان تحت الكم والكيف ، وما ذكره في الجنتين الأخيرتين كلُّه محسوس ، ولهما نهاية وحدٌّ في أنفسهما ، لا في نعيمهما ، وهما الجنتان اللتان ورد الخبر بهما ، كما في صحيح البخاري :

---

(١) ٤٨/٥٥ الرحمن (٢) ٥٠/٥٥ الرحمن (٣) ٥٢/٥٥ الرحمن •

« جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما،وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما»

« فمَنْ » في قوله :

« وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ » .

واقعة على الصنفين الخائفين من الأبرار والمقربين مع اختلاف خوفهما ، فهو مقول بالتشكيك . كما أن المقام هو بالنسبة الى المقربين بمعنى الحضرة الربانية ، وبالنسبة الى الأبرار مقام العباد بين يدي الحق ـ تعالى ـ ، وقوله :

« جَنَّتَانِ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ » .

هو على طريقة التوزيع ، فانّ الاخبار واقع على الصنفين من المقربين والأبرار .

الموقف

ـ ٢٢٥ ـ

قال تعالى :

« وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ[1] ».

أي لولا وجود دفع الله ، الاسم الجامع لأسماء الجلال والجمال والرضى والغضب ، الناس الذين هم مظاهر أسماء الجلال والجمال والرضى والغضب ، بعضهم ، يعني مظاهر أسماء الجلال والشرّ والغضب ببعض ، بمظاهر أسماء الجمال والخير والرضى ، والاسم الجامع هو المدافع ، والمدافع في الجهتين من حيث الناس ، الذين هم مظاهر الصنفين ، كما قال :

« قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ[2] » .

وان هذين الصنفين ، أعني مظاهر أسماء الجلال والجمال ، المعبّر عنهما

---

(١) ٢٥١/٢ البقرة . (٢) ١٥/٩ التوبة .